معهد الميراث النبوي

اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

عُنْوَانُ الْمَتْنِ:

الْقَوَاعِدُ الأَرْبَعُ

مُؤَلِّفُ الْمَتْنِ:

الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ/مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ–

تَحْتَ إِشْرَافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَلاَ زَالَ الْحَدِيثُ مَوْصُولًا بِدِرَاسَةِ وَتَدَارُسِ الْقَوَاعِدِ الْأَرْبَعَةِ، لِشَيْخِ الْإِسْلاَمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- وَكَانَ قَدْ قَرَّرَ فِيمَا قَدْ سَبَقَ مَا يَتَعَلَّقُ بِبَيَانِ التَّوْحِيدِ، وَبَيَانِ الْحَنِيفِيَّةِ، وَهِيَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

ثُمَّ بَيَّنَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- مَا يَتَعَلَّقُ بِخُطُورَةِ الشِّرْكِ، وَأَنَّ الشِّرْكَ يُحْبِطُ الْعِبَادَةَ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاَةَ لَا تُسَمَّى صَلاَةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ، وَأَنَّهُ كَمَا يُفْسِدُ الْحَدَثُ الطَّهَارَةَ وَ الصَّلاَةَ، كَذَلِكَ يُفْسِدُ الشِّرْكُ الْعَمَلَ.

ثُمَّ بَيَّنَ أَيْضًا أَنَّ الشِّرْكَ شَبَكَةٌ خَطِيرَةٌ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَتَخَلَّصَ منها، وَأَنْ يَعْرِفَ حَبَائِلَ وَطُرُقَ الشِّرْكِ لِيَجْتَنِبَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الشِّرْكَ مُحْبِطٌ لِلْعَمَلِ وَصَاحِبُهُ خَالِدٌ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **((وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ)).**

يَعْنِي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: أَنَّ التَّخَلُّصَ مِنَ الشِّرْكِ وَالتَّخَلُّصَ مِنَ الْبِدَعِ وَالضَّلاَلَاتِ، وَالتَّخَلُّصَ مِنَ الْبَاطِلِ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ

الشَّرْعِيِّ، فَالتَّخَلُّصُ مِنَ الشِّرْكِ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ مَذْكُورَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

يَعْنِي أَنَّ الشَّيْخَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- لَمْ يَأْتِ بِهَا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ لَمْ يَخْتَرِعْهَا، بَلْ هُوَ مُتَّبِعٌ لِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهَذِهِ الْقَوَاعِدُ الْأَرْبَعَةُ إِذَا تَعَلَّمَهَا الْعَبْدُ وَعَرَفَهَا الْمَعْرِفَةَ الصَّحِيحَةَ فَإِنَّهُ إِنْ شَاءَ اللهُ يَنْتَفِعُ بِهَا فِي التَّخَلُّصِ مِنَ الشِّرْكِ.

وَقَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ((**بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ**)) يَعْنِي: أَرْبَعَةَ أُصُولٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ .

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

الْقَاعِدَةُ الأُولَى

((أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ، الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلامِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾[1].

هَذِهِ الْقَاعِدَةُ الأُولَى الَّتِي ذَكَرَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، **وَخُلاَصَةُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ**: أَنَّ إِقْرَارَ الْمُشْرِكِينَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلاَمِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا بِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ.

خُلاَصَةُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ: أَنَّ إِقْرَارَ وَاعْتِرَافَ الْمُشْرِكِينَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الرَّبُّ هُوَ الْخَالِقُ هُوَ الرَّازِقُ، لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ.

لِمَاذَا؟

لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا بِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ بِمَعْنَى لَمْ يُفْرِدُوا الْعِبَادَةَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ .

---

(1) يونس (31)

قَالَ: **وَالدَّلِيلُ** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾[2].

يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لَوْ سُئِلُوا:

مَنِ الَّذِي رَزَقَهُمْ؟

وَمَنِ الَّذِي يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ؟

وَمَنِ الَّذِي أَخْرَجَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَأَخْرَجَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ؟

وَمَنِ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ؟

سَيَقُولُونَ اللهُ، فَهُمْ إِذَنْ مُقِرُّونَ وَمُعْتَرِفُونَ بِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِيَدِهِ هَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا.

فَإِذَنْ، إِذَا كُنْتُمْ تُقِرُّونَ بِذَلِكَ فَالْوَاجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَصْرِفُوا جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ للهِ .

---

(2) يونس (31)

((**فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ**)): أَيْ كَيْفَ تُشْرِكُونَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي تُقِرُّونَ أَنَّهُ بِيَدِهِ هَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا؟

فَالْوَاجِبُ عَلَيْكُمْ، وَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ، لِأَنَّ الْخَالِقَ الرَّازِقَ الْمُدَبِّرَ لِلأَمْرِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِأَنْ تَكُونَ جَمِيعُ الْعِبَادَاتُ مَصْرُوفَةً لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا يَجُوزُ صَرْفُ أَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ مِنْ دُعَاءٍ أَوْ ذَبْحٍ أَوْ طَوَافٍ أَوْ تَوَكُّلٍ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّ صَرْفَهَا لِغَيْرِ اللهِ هِيَ صَرْفُهَا لِلْمَخْلُوقِ.

وَالْخَالِقُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، لِذَلِكَ **قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ**: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3]، هَذِهِ الْقَاعِدَةُ مُهِمَّةٌ.

لِمَاذَا ؟

لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ، لَمَّا تُنْكِرُ عَلَيْهِ مَا يَقَعُ فِيهِ مِنْ شِرْكٍ، مِنْ ذَبْحٍ لِغَيْرِ اللهِ أَوْ دُعَاءٍ لِغَيْرِ اللهِ أَوْ نَذْرٍ لِغَيْرِ اللهِ، يَقُولُ لَكَ يَا أَخِي أَنَا أَقُولُ اللهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، الخ.

(3) لقمان (13)

فَأَنَا لَسْتُ مُشْرِكًا، فَالشَّيْخُ يَقُولُ لَنَا وَيُعَلِّمُنَا، اعْلَمُوا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الْأَوَّلِينَ كَانُوا يُقِرُّونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ ذَلِكَ .

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُم وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ.

فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾(4).

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾(5).

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ خُلاصَتُهَا- كَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ مُحَمَّد أَمَان الْجَامِي رِحَمَهُ اللهُ تَعَالَى، فِي شَرْحِهِ لِلْقَوَاعِدِ الأَرْبَعَةِ.

قَالَ : ((**مُلَخَّصُهَا: أَنَّ عِبَادَة الْمُشْرِكِينَ لِآلِهَتِهِمْ مِنْ قَبِيلِ الْوَسَاطَةِ وَالشَّفَاعَةِ، لَا لِأَنَّ آلِهَتَهُمْ تَخْلُقُ أَوْ تَرْزُقُ أَوْ تَضُرُّ أَوْ تَنْفَعُ**)).

(4) الزمر (3).
(5) يونس (18).

إِذَنْ مُلَخَّصُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَنَّ عِبَادَةَ الْمُشْرِكِينَ لِآلِهَتِهِمْ كَانَتْ مِنْ قَبِيلِ الْوَسَاطَةِ وَالشَّفَاعَةِ، لَا لِأَنَّ آلِهَتَهُمْ تَخْلُقُ أَوْ تَرْزُقُ أَوْ تَضُرُّ أَوْ تَنْفَعُ.

الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ يَقُولُ : إِنَّهُمْ يَقُولُونَ أَيِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ نَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَاتُ، وَالَّذِينَ دَعَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلتَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُحَقِّقُوا تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ.

قَالُوا: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَقَرَّبْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، يَعْنِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ وَالَّذِينَ عَبَدُوا مَا عَبَدُوا مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُونَ: نَحْنُ مَا تَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَلَيْسَ هُمْ مَقْصُودِينَ بِالْعِبَادَةِ وَإِنَّمَا هُمْ يُقَرِّبُونَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْقُرْبَةُ وَالشَّفَاعَةُ، أَيِ اتَّخَذْنَاهُمْ قُرَبَاءَ وَشُفَعَاءَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ((**فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ**)): أَيْ دَلِيلُ زَعْمِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمُ اتَّخَذُوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ وَهَذِهِ الْآلِهَةَ لِتُقَرِّبَهُمْ إِلَى اللهِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ

اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾(6).

تَأَمَّلُوا -بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ- قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ﴾ أَيْ: مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ.

يَعْنِي: لَيْسَتْ آلِهَةً، هُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ مِنْ مَلَكٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ، أَوْ رَسُولٍ أَوْ نَبِيٍّ أَوْ رَجُلٍ صَالِحٍ.

{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}: أَيْ مَا نَتَوَجَّهُ إِلَيْهِمْ وَمَا نَدْعُوهُمْ إِلَّا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَأَمَّلُوا أَنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ أَنَّهُمْ عَبَدُوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ، وَلَكِنَّهُمْ هُمْ يَقُولُونَ: لَا نَعْبُدُهَا لِذَاتِهَا، وَلَكِنْ نَعْبُدُهَا لِتَقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَقَالَ: {مَا نَعْبُدُهُمْ }:أَيْ مَا نَتَوَجَّهُ لِدُعَائِهِمْ وَلِطَلَبِ الشَّفَاعَةِ مِنْهُمْ {إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}.

(6) الزمر (3).

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾يَعْنِي: اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيُبَيِّنُ لَهُمْ، وَسَيُعَاقِبُهُمْ عَلَى شِرْكِهِمْ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾: فَهَاتَانِ الصِّفَتَانِ لِهَؤُلَاءِ:

أَوَّلًا: أَنَّهُمْ كَذَبَةٌ فَهُمْ عَبَدُوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ وَهُمْ تَوَجَّهُوا لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، وَأَعْطَوْهَا مِنَ الصِّفَاتِ وَمِنَ الْأُمُورِ مَا لَا يُعْطُونَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ثَانِيًا: وَهُمْ كُفَّارٌ لِأَنَّهُمْ أَشْرَكُوا بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾: هَذَا دَلِيلُ الْقُرْبَةِ .

أَمَّا **دَلِيلُ الشَّفَاعَةِ**: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾(7).

فَهُنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَصَفَ عِبَادَتَهُمْ وَطَلَبَ الشَّفَاعَةِ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ أَوْ مِنْ تِلْكَ الْمَعْبُودَاتِ وَالْآلِهَةِ بِأَنَّهَا عِبَادَةٌ.

(7) يونس (18).

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾، يَعْنِي: مَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، لِأَنَّهُمْ أَحْجَارٌ فَمَاذا يَفْعَلُونَ؟ وَإِنْ كَانُوا أَمْوَاتًا فَلاَ شَيْءَ فِي أَيْدِيهِمْ، بَلْ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَفْعَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا ضَرَّ أَنْفُسِهِمْ.

قَالَ: ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾.

يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ، يَزْعُمُونَ أَنَّ هَذِهِ الْآلِهَةَ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِتَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

إِذَنْ: فَالْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ عِبَادَةُ الْمُشْرِكِينَ لِآلِهَتِهِمْ، كَانَتْ مِنْ قَبِيلِ الْوَسَاطَةِ وَالشَّفَاعَةِ، لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ تُنْكِرُ عَلَيْهِ دُعَاءَ غَيْرِ اللهِ مِنَ السَّيِّدِ الْفُلَانِيِّ أَوْ حُسَيْنٍ أَوْ عَلِيٍّ أَوِ الْوَلِيِّ الْفُلَانِيِّ.

يَقُولُ لَكَ: يَا أَخِي أَنَا مَا أَعْبُدُهُمْ، أَنَا جَعَلْتُهُمْ قُرْبَةً بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ أَوْ جَعَلْتُهُمْ وَسَاطَةً بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ.

فَنَقُولُ: بَلْ هِيَ عِبَادَةٌ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَصَفَ فِعْلَهُمْ بِأَنَّهُ عِبَادَةٌ، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ﴾(8).

ثُمَّ أَيْضًا نَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ هَؤُلَاءِ الْأَوْلِيَاءِ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ: قَوْلُكُمْ عَيْنُ قَوْلِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمُ اتَّخَذُوا هَذِهِ الْآلِهَةَ، لِيَقَرِّبُوهُمْ إِلَى اللهِ زُلْفَى، وَأَنَّهُمْ وُسَطَاءُ وَشُفَعَاءُ مِنْ دُونِ اللهِ.

فَإِذَنْ: يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَتَنَبَّهَ لِهَذِهِ الشُّبْهَةِ الَّتِي نَشَرَهَا وَيَنْشُرُهَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الشِّرْكِ .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **((وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ:** شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ)).

هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّ هَذِهِ الْآلِهَةَ تَشْفَعُ لَهُمْ، فَالشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بَيَّنَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ جَاءَتْ فِي الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى نَوْعَيْنِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

مَا هِيَ الشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ ؟

(8) يونس (18).

قَالَ: **فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ:** مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلا اللهُ؛ **وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(9).

فَنَفَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الشَّفَاعَةَ فِي قَوْلِهِ: {وَلاَ شَفَاعَةٌ}، فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ.

وَمَا مَعْنَى كَوْنِهَا مَنْفِيَّةً ؟

يَعْنِي أَنَّهَا غَيْرُ مَقْبُولَةٍ، وَهِيَ بَاطِلَةٌ وَاللهُ قَدْ نَفَاهَا: {وَلاَ شَفَاعَةٌ}، فَالَّذِينَ يَطْلُبُونَ مِنَ السَّيِّدِ الْفُلاَنِيِّ أَوِ الصَّالِحِ الْفُلاَنِيِّ أَوِ الْوَلِيِّ الْفُلاَنِيِّ أَنْ يَشْفَعَ لَهُمْ، فَهَذِهِ شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ وَهِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ، وَإِنَّمَا الشَّفَاعَةُ تُطْلَبُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَلِذَلِكَ بَيَّنَهَا رَحِمَهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ، وَمَعْنَى الْمُثْبَتَةِ يَعْنِي الشَّفَاعَةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا الشَّرْعُ، وَذَكَرَهَا الشَّرْعُ أَنَّهَا يُعْمَلُ بِهَا.

مَا هِيَ الشَّفَاعَةُ ؟

قَالَ: ((**هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ**)).

---

(9) البقرة (254).

قَالَ: وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، يَعْنِي أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَذِنَ لِلشَّافِعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَشْفَعَ فَهَذَا مِنْ بَابِ الْكَرَامَةِ، وَمِنْ بَابِ الْإِكْرَامِ، وَمِنْ بَابِ الْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ.

قَالَ: ((وَالْمَشْفُوعُ لَهُ: مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[10])).

إِذَنْ: الشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ شُرُوطٍ:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ تُطْلَبَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلاَ تُطْلَبُ مِنْ فُلاَنٍ وَلَا فُلاَنٍ، إِنَّمَا تُطْلَبُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الشَّرْطُ الثَّانِي: الرِّضَا عَنِ الشَّافِعِ فَإِذَا كَانَ الشَّافِعُ مَثَلاً كَافِرًا أَوْ كَانَ الشَّافِعُ مُنَافِقًا، فَإِنَّهُ لَا تُقْبَلُ شَفَاعَتُهُ، وَلَيْسَ لَهُ الشَّفَاعَةُ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الشَّفَاعَةِ الْمَنْفِيَّةِ، فَلاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ الشَّافِعُ مِمَّنْ يُكْرِمُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالشَّفَاعَةِ، وَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلاَمِ وَالْإِيمَانِ .

(10) البقرة (255).

الشَّرْطُ الثَّالِثُ: الرِّضَا عَنِ الْمَشْفُوعِ لَهُ، بِأَنْ يَكُونَ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَمَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ، فَإِنَّ الْكَافِرَ أَوِ الْمُنَافِقَ هَؤُلَاءِ لَا يُشْفَعُ لَهُمْ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ.

فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ وَأَنْ يَكُونَ الشَّافِعُ وَالْمَشْفُوعُ لَهُ قَدْ رَضِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمَا، لِذَلِكَ هَؤُلَاءِ حِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ تُطْلَبُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَوْلِيَاءِ، إِنَّمَا يَزْعُمُونَ بَاطِلاً مِنَ الْقَوْلِ، لِأَنَّ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ هِيَ الشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ.

قَالَ ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: لَا شَفَاعَةَ إِلَّا بِإِذْنِهِ أَيْ: بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى، وَلَا يَأْذَنُ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ ولَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَّا تَوْحِيدَهُ وَاتِّبَاعَ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَإِذَنْ هَذِهِ هِيَ الشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُثْبِتُونَ الشَّفَاعَةَ.

وَأَنَّهَا أَنْوَاعٌ:

فَالشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى: تَكُونُ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ، حِينَ يَذْهَبُ النَّاسُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ يَنْتَهُونَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ: **((أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا))** فَيَذْهَبُ وَيَسْجُدُ فَيُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنْ مَحَامِدِ اللهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَشُكْرِهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: ((**ارْفَعْ رَأْسَكَ وَاسْأَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**)).

❋ ثُمَّ شَفَاعَةُ الْمَلَائِكَةِ.

❋ وَشَفَاعَةُ الصَّالِحِينَ.

❋ وَشَفَاعَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِبَعْضِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي عُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ إِلَى آخِرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّفَاعَاتِ.

وَقَدْ أَنْكَرَ الشَّفَاعَةَ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ، أَنْكَرَهَا الْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ، لِأَنَّهُمْ يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْكَبَائِرِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ أَهْلَ الْكَبَائِرِ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ ثَابِتَةٌ لَهُمْ، إِنْ رَضِيَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالشُّرُوطِ السَّابِقَةِ.

فَإِذَنْ خُلَاصَةُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ كَمَا سَبَقَ: أَنَّ عِبَادَةَ الْمُشْرِكِينَ لِآلِهَتِهِمْ كَانَتْ مِنْ قَبِيلِ الْوَسَاطَةِ وَالشَّفَاعَةِ لَا لِأَنَّ آلِهَتَهُمْ تَخْلُقُ أَوْ تَرْزُقُ أَوْ تَضُرُّ أَوْ تَنْفَعُ.

الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ.

خُلاصَةُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ:

أَنَّ كُلَّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْ نَقُولُ: أَنَّ عِبَادَةَ أَيِّ شَيْءٍ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هِيَ شِرْكٌ وَكُفْرٌ، سَوَاءٌ كَانَتْ لِلْمَلائِكَةِ وَلِلأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، أَوْ كَانَتْ لِلشَّجَرِ أَوِ الْحَجَرِ أَوِ الشَّمْسِ أَوِ الْقَمَرِ، أَوْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ.

لِمَاذَا ؟

لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَقُولُ: الْعِبَادَةُ الشِّرْكِيَّةُ هِيَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، هِيَ عِبَادَةُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَأَمَّا دُعَاءُ الأَوْلِيَاءِ وَمَحَبَّتُهُمْ، وَإِعْطَاؤُهُمْ بَعْضَ الصِّفَاتِ وَصَرْفُ بَعْضِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ لَهُمْ، هَذِهِ لَا تُسَمَّى شِرْكًا، لِأَنَّ الشِّرْكَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْحَجَرِ وَالصَّنَمِ وَالشَّجَرِ وَالصَّالِحِينَ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، أَمَّا عِبَادَةُ الأَوْلِيَاءِ أَوِ الأَنْبِيَاءِ أَوِ الْمَلَائِكَةِ وَدُعَاؤُهُمْ فَهَذِهِ لَيْسَتْ عِبَادَةً وَلَيْسَتْ شِرْكًا.

فَبَيَّنَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهَذِهِ الْقَاعِدَةَ أَنَّ صَرْفَ أَيِّ نَوْعٍ غَيْرِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ هِيَ شِرْكٌ، سَوَاءٌ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا أَوْ مَلَكًا أَوْ رَسُولًا أَوْ حَجَرًا أَوْ شَجَرًا أَوْ قَمَرًا .. الخ.

مَا الدَّلِيلُ ؟

قَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلَ جَمِيعَ هَؤُلَاءِ، فَهُنَاكَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ رِجَالًا صَالِحِينَ كَاللاَّتِ، وَهُنَاكَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ عِيسَى كَالنَّصَارَى، وَهُنَاكَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْحَجَرَ، فَقَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ صَرَفُوا أَنْوَاعًا مِنَ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ فَهُمْ مُشْرِكُونَ كُفَّارٌ.

لِذَلِكَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، بَيَّنَ لَنَا بِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ، أَنَّ كُلَّ هَذِهِ الْمُسَمَّيَاتِ إِذَا صُرِفَتِ الْعِبَادَةُ لَهُمْ فَهِيَ مِنْ بَابِ الشِّرْكِ، وَاتِّخَاذِ الْأَنْدَادِ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ: **وَالدَّلِيلُ** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّه ﴾(11).

الدَّلِيلُ عَلَى مَاذَا؟

الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلَهُمْ جَمِيعًا.

أَيْنَ وَجْهُ الاِسْتِدْلَالِ ؟

وَجْهُ الاِسْتِدْلَالِ: الْعُمُومُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾، لَمَّا ذَكَرَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾، لَمْ يَقُلْ مَثَلاً: ((**وَقَاتِلُوا عُبَّادَ الْأَصْنَامِ**)). ((**قَاتِلُوا عُبَّادَ الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ**)). وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْمُشْرِكِينَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أَمَرَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَمَرَنَا مَعَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُقَاتِلَ جَمِيعَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ وَأَصْنَافِهِمْ؛ فَلاَ يُفَرِّقُوا بَيْنَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ حَجَرًا، أَوْ كَانَ يَعْبُدُ وَلِيًّا صَالِحًا أَوْ نَبِيًّا مُرْسَلاً أَوْ مَلَكًا مُقَرَّبًا، فَكُلُّهُمْ مُشْرِكُونَ لِأَنَّهُمْ صَرَفُوا الْعِبَادَةَ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

(11) الأنفال (39).

فَقَوْلُهُ: ﴿ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾أَيْ حَتَّى لَا يَكُونَ شِرْكٌ،

﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه ﴾، يَعْنِي تَكُونُ الْعِبَادَةُ خَالِصَة للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَ بِهَذَا قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ.

﴿ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أَيْ: حَتَّى لَا يَكُونَ شِرْكٌ، فاللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنَا بِذَلِكَ حَتَّى لَا يَكُونَ شِرْكٌ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحَتَّى يُعْبَدَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[12].

فَهَذِهِ الْآيَةُ، دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ نَهَى عَنِ السُّجُودِ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَأَمَر بِالسُّجُودِ لَهُ ، لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِهَذَا السُّجُودِ.

(12) فصلت (37).

لِذَلِكَ قَالَ: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، وهَذَا السُّجُودُ عِبَادَةٌ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِلَّا للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِذَلِكَ نُهِيَ عَنِ الصَّلاَةِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَعِنْدَ غُرُوبِهَا.

لِمَاذَا ؟

لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، يَرْقُبُ الشَّمْسَ بِمَعْنَى: يَتَحَيَّنُ وَيُرَاقِبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ عِنْدَ غُرُوبِهَا أَوْ عِنْدَ طُلُوعِهَا، فَإِنَّهُ يَجْعَلُهَا بَيْنَ قَرْنَيْهِ؛ وَلِذَلِكَ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّلاَةِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَعِنْدَ غُرُوبِهَا إِرْغَامًا لِلشَّيْطَانِ وَإِبْعَادًا وَحِمَايَةً لِلتَّوْحِيدِ.

وَهَذَا كَمَا ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ النَّهِيَّ عَنِ الصَّلاَةِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَوْ عِنْدَ غُرُوبِهَا لِغَيْرِ سَبَبٍ، أَمَّا لَوْ كَانَتْ لِسَبَبٍ كَتَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ، أَوْ صَلاَةِ جَنَازَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ أَوْ صَلاَةٍ فَائِتَةٍ، فَإِنَّ الْمُسْلِمَ يُصَلِّي للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَلَكِنْ أَنْ يَقُومَ الْمُسْلِمُ وَيَتَطَوَّعُ تَطَوُّعًا مُطْلَقًا عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَوْ عِنْدَ غُرُوبِهَا، فَإِنَّهُ مَنْهِيٌّ عَنْ ذَلِكَ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ كَمَا جَاءَ فِي الدَّلِيلِ، يَرْقُبُ ذَاكَ الْوَقْتَ فَيَقِفُ فَتَكُونُ الشَّمْسُ أَوِ الْقَمَرُ بَيْنَ قَرْنَيْهِ.

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((**تِلْكَ صَلاَةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعا لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً**)).

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى **وَدَلِيلُ الْمَلائِكَةِ**؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا ﴾(13)

﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا﴾ أَيْ: مَعْبُودِينَ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلاَ تُعْبَدُ الْمَلاَئِكَةُ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ فَلَوِ اتَّخَذَ أَحَدَ الْمَلاَئِكَةَ أَرْبَابًا فَقَدْ كَفَرَ،﴿**أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾، فَالْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ مُنَزَّهُونَ عَنْ ذَلِكَ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ مَنِ اتَّخَذَ الْمَلاَئِكَةَ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ.

قَالَ: ﴿ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا ﴾، أَيْضًا كَذَلِكَ النَّبِيِّينَ، وَلَكِنْ أَفْرَدَهُمُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي الدَّلِيلِ التَّالِي: حَيْثُ قَالَ:

(13) آل عمران (80)

وَدَلِيلُ الْأَنْبِيَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى **وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾(14) .

هَذِهِ الْآيَةُ أَيْضًا دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَعْبُدُ الْأَنْبِيَاءَ، وَأَنَّ مَنْ عَبَدَ الْأَنْبِيَاءَ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِعِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ؟

هَذَا السُّؤَالُ لَيْسَ مِنْ بَابِ طَلَبِ الْجَوَابِ، وَلَكِنْ هَذَا مِنْ بَابِ تَوْبِيخِ الْمُشْرِكِينَ وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ، يَعْنِي: لَا حُجَّةَ لَكُمْ فِي عِبَادَةِ عِيسَى أَوْ عِبَادَةِ مَرْيَمَ أَوْ عِبَادَةِ أَحَدٍ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَعِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَقُلْ لِلنَّاسِ: اعْبُدُونِي وَاعْبُدُوا أُمِّي وَاتَّخِذُونَا إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ، قَالَ عِيسَى:﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾، أَيْ أُنَزِّهُكَ يَا اللهُ فَأَنْتَ الْخَالِقُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

---

(14) المائدة (116).

﴿ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾، لَيْسَ لِي أَنْ أَدْعُوَ النَّاسَ لِعِبَادَةِ غَيْرِكَ، فَهَذَا لَيْسَ لِي، ثُمَّ قَالَ:

﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ يَعْنِي: يَا رَبِّ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ، فَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِثْبَاتُ صِفَةِ النَّفْسِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ} فَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِأَنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ نَفْسًا تَلِيقُ بِجَلاَلِهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، فَإِذَنْ هَذَا دَلِيلُ الْأَنْبِيَاءِ

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ: **وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ:** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾[15].

مَعْنَي هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، الَّذِينَ يَدْعُونَهُمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ وَالْأَنْبِيَاءُ هُمْ أَنْفُسُهُمْ

(15) الإسراء (57).

يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ، يَرْغَبُونَ وَيَطْلُبُونَ إِلَى اللهِ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ، هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَالصَّالِحُونَ وَالْأَوْلِيَاءُ.

فَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَالصَّالِحُونَ، إِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ هُمْ أَنْفُسُهُمْ يَعْبُدُونَ اللهَ وَلَا يُشْرِكُونَ بِهِ، فَكَيْفَ تُشْرِكُونَهُمْ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِلْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ تَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ يَدْعُونَ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلِمَاذَا لَا تَكُونُونَ مِثْلَهُمْ فَتَدْعُونَ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؟

وَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمَدْعُوُّونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَالصَّالِحُونَ وَنَحْوُهُمْ ، لَوْ كَانَ بِيَدِهِمْ شَيْءٌ، لَنَفَعُوا أَنْفُسَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِيَدِهِمْ شَيْءٌ، وَقَدِ انْقَطَعَ عَمَلُهُمْ بِمَوْتِهِمْ، انْقَطَعَ عَمَلُ الصَّالِحِينَ بِمَوْتِهِمْ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ كَمَا فِي الْحَدِيثِ، فَإِذَنْ هَؤُلَاءِ: يَعْبُدُونَ اللهَ وَيَبْتَغُونَ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ، وَيَرْجُونَ الْقُرْبَةَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ،

ثُمَّ قَالَ: **وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ:**

* قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾(16).

قَالَ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ﴾ اللاَّتُ رَجُلٌ صَالِحٌ بِالطَّائِفِ، كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلْحُجَّاجِ، فَعُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا مَاتَ.

وَالْعُزَّى: شَجَرَةٌ كَانَتْ تَحُلُّ بِهَا جِنِّيَّةٌ تُكَلِّمُ النَّاسَ وَكَانُوا يَطُوفُونَ حَوْلَهَا وَيَذْبَحُونَ لَهَا، وَهِيَ الَّتِي قَالَ فِيهَا بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ حِينَهَا: وَالْعُزَى لَنَا وَلَا عُزَّى لَكُمْ، فَرَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ الصَّحَابَةَ أَنْ يَقُولُوا: ((اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ)). وَكَانَ مِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ، أَبُو سُفْيَانَ حَالَ كَوْنِهِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ أَسْلَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا مَنَاةُ: فَكَانَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ خُزَاعَةُ وَبَعْضُ الْقَبَائِلِ يُعَظِّمُونَهَا وَيُهِلُّونَ مِنْهَا لِلْحَجِّ وَيَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾(17) مَنَاةُ الصَّخْرَةُ، اللاَّتُ: رَجُلٌ صَالِحٌ، وَالْعُزَّى: شَجَرَةٌ كَانَتْ بِهَا جِنِّيَّةٌ.

---

(16) النجم (19 – 20)
(17) النجم (19 – 20)

وَمَنَاةُ: صَخْرَةٌ، كَانُوا يُهِلُّونَ مِنْهَا وَيُرِيقُونَ عِنْدَهَا الدِّمَاءَ تَبَرُّكًا بِهَا، فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ وَقَعَ، وَأَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَدْعُو الْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ وَأَنَّهُ شِرْكٌ وَكُفْرٌ بِاللهِ.

قَالَ: وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. الحَدِيثَ.

مُرَادُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهَذَا الْحَدِيثِ، بَيَانُ حَالِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ سِدْرَةٌ، شَجَرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، يَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ.

لِمَاذَا يُعَلِّقُونَ أَسْلِحَتَهُمْ؟

كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذِهِ السِّدْرَةَ، الشَّجَرَةَ، إِذَا عَلَّقُوا عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، انْتَصَرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ وَقَوِيَتْ أَسْلِحَتُهُمْ وَاشْتَدَّ أَمْرُهُمْ، فَعَبَدُوا الْأَشْجَارَ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَالصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، كَمَا وَصَفَهُمْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ كَانُوا حُدَثَاءَ عَهْدِ بِكُفْرٍ، يَعْنِي أَسْلَمُوا مِنْ قَرِيبٍ، وَهُمْ مُسْلِمَةُ الْفَتْحِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ.

وَلَمْ يَطْلُبُوا هَذَا الْأَمْرَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَابِ عِبَادَةِ أَوِ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّمَا وَقَعَ هَذَا مِنْهُمْ، كَمَا بَيَّنَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَكَمَا فِي قَوْلِ أَبِي وَاقِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُمْ كَانُوا حُدَثَاءَ عَهْدٍ بِإِسْلَامٍ.

وَلَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةَ قُلُوبُهُمْ مُعَلَّقَةٌ بِالشِّرْكِ، أَوْ أَنَّ فِي قُلُوبِهِمْ شَيْئًا مِنَ الشِّرْكِ أَوْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَتَّخِذُوهَا مِنْ دُونِ اللهِ، كَمَا بَيَّنَ ذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ مُنَزَّهُونَ عَنْ ذَلِكَ.

وَلَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَذْكُرَ الصَّحَابَةَ بِسُوءٍ، وَلَوْ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ مُبَرَّؤُونَ مِنْ ذَلِكَ.

وَلِذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ أَوْرَدَ هَذَا لِقَوْلِهِ فِي الرِّوَايَةِ: وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَدَلَّ ذَلِكَ أَنَّهُمْ عَبَدُوا الشَّجَرَةَ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

إِذَنِ الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ كَمَا سَبَقَ خُلَاصَتُهَا: أَنَّ صَرْفَ أَيِّ نَوْعٍ مِنَ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ هُوَ شِرْكٌ، سَوَاءٌ كَانَ مَلَكًا أَوْ صَالِحًا أَوْ شَجَرًا أَوْ حَجَرًا أَوْ شَمْسًا أَوْ قَمَرًا أَوْ بَقَرًا، كَمَا عِنْدَ الْهِنْدُوسِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْبَقَرَ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

فَإِذَنْ: كُلُّ هَذِه صَرْفُهَا لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ .

الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ؛ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّة.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾(18).

(18) العنكبوت (65).

هَذِهِ الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ خُلاَصَتُهَا:

أَنَّ بَعْضَ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ، أَشَدُّ وَأَغْلَظُ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ.

مَنْ هُمُ الْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ؟

هُمُ الْكُفَّارُ الْخُلَّصُ، الَّذِينَ كَانُوا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَاتَلَهُمْ وَحَارَبَهُمْ وَدَعَاهُمْ لِلتَّوْحِيدِ.

((**مُشْرِكُو زَمَانِنَا**)): مُرَادُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، بِمُشْرِكِي زَمَانِنَا، أَيِ: الَّذِينَ وقَعُوا فِي هَذَا الشِّرْكِ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ وَلَا زَالُوا مُصِرِّينَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، بَعْدَ بَيَانِ الْحُجَّةِ لَهُمْ.

أَوْ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، مَنْ وَقَعُوا فِي الشِّرْكِ مُطْلَقًا، دُونَ تَكْفِيرٍ لَهُمْ إِلَّا بَعْدَ بَيَانِ الْحُجَّةِ وَقِيَامِهَا عَلَيْهِمْ، فَلَيْسَ مُرَادُهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى تَكْفِيرَ مَنْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّهُ لَابُدَّ مِنْ بُلُوغِ الْحُجَّةِ.

فَإِنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَغَيْرَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، يَعْذِرُونَ بِالْجَهْلِ.

طَيِّبٌ، **مَا وَجْهُ كَوْنِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَشْرَكُوا فِي زَمَانِنَا أَغْلَظَ وَأَشَدَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الْأَوَّلِينَ؟**

هُوَ ذَكَرَ لَنَا مِثَالًا هُنَا.

مَا هُوَ هَذَا الْمِثَالُ ؟

الْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ الَّذِينَ ظَهَرَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَلَمْ يُؤْمِنُوا وَلَمْ يُسْلِمُوا كَانَ حَالُهُمْ فِي السَّرَّاءِ، يَعْنِي فِي حَالَةِ الْأَمْنِ وَالاطْمِئْنَانِ، كَانُوا يُشْرِكُونَ بِاللهِ، وَلَكِنْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذَا رَكِبُوا فِي الْبَاخِرَةِ، فِي السُّفُنِ، فِي الْفُلْكِ وَدَخَلُوا فِي الْبَحْرِ، وَأَصَابَتْهُمُ الْمُصِيبَةُ بِأَنْ مَاجَتِ الْأَمْوَاجُ وَارْتَفَعَتْ وَقَرُبَ هَلاكُهُمْ.

مَاذَا يَفْعَلُونَ؟

يَنْسَوْنَ أَصْنَامَهُمْ، وَيَنْسَوْنَ مَعْبُودَاتِهِمْ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

مَاذَا يَفْعَلُونَ؟

يَدْعُونَ اللهَ.

مَا صِفَةُ دُعَائِهِمْ ؟

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، يَعْنِي: تتَعَلَّقُ قُلُوبُهُمْ بِاللهِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا تَلْتَفِتُ أَبَدًا لِتِلْكَ الْأَصْنَامِ الَّتِي طَافُوا حَوْلَهَا وَذَبَحُوا لَهَا، وَنَذَرُوا لَهَا، وَسَجَدُوا لَهَا، وَعَكَفُوا عِنْدَهَا، لَا يَلْتَفِتُ لَهَا فِي حَالَةِ الضَّرَّاءِ، فِي حَالَةِ الْمُصِيبَةِ، فَهُمْ فِي السَّرَّاءِ يُشْرِكُونَ، وَفِي الضَّرَّاءِ يُخْلِصُونَ. هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ.

أَمَّا الْمُشْرِكُونَ الْيَوْمَ مِمَّنْ هُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ:

فَإِنَّهُمْ إِذَا رَكِبُوا فِي السُّفُنِ وَأَصَابَتْهُمُ الْمُصِيبَةُ، لَا يَقُولُونَ يَا اللهُ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ: يَا حُسَيْنُ، يَا سَيِّدَ الْبَحْرِ، يَا فُلَانُ أَغِثْنَا، أَنْقِذْنَا، فَهُمْ يُشْرِكُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ هُمْ أَشَدُّ شِرْكًا مِنَ الْأَوَّلِينَ.

وَأَيْضًا: الْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ كَمَا ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ، فِي الْآيَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فِي الْقَاعِدَةِ الْأُولَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾(19).

كَانُوا يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، مُدَبِّرُ الْأَمْرِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ، فَإِنَّ مُشْرِكُو زَمَانِنَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ بَعْضَ سَادَاتِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ يَتَصَرَّفُونَ فِي الْكَوْنِ وَأَنَّ بِيَدِهِمْ الرِّزْقَ، رِزْقَ الْمَالِ أَوْ رِزْقَ الْوَلَدِ أَوْ،أَوْ.... الخ.

فَصَرَفُوا بَعْضَ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَرَفُوا بَعْضَ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ كَانَ شِرْكُهُمْ أَغْلَظَ مِنْ شِرْكِ الْأَوَّلِينَ .

هَذِهِ الْقَاعِدَةُ مَا مُلَخَّصُهَا؟

مُلَخَّصُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ: أَنَّ صَرْفَ أَيِّ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَمِنْ أَنْوَاعِ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ أَنْ نَقُولَ: إِنْ صَرْفَ أَنْوَاعٍ مِنْ

---

(19) يونس (31)

تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنْوَاعٍ مِنْ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ أَغْلَظُ مِنْ شِرْكِ الْأَوَّلِينَ، الَّذِينَ كَانُوا يُقِرُّونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَيُخَالِفُونَ فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ.

وأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا وَفِي زَمَانِ الْمُصَنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فَإِنَّهُمْ يَقَعُونَ فِي شِرْكِ الرُّبُوبِيَّةِ وَفِي شِرْكِ الْأُلُوهِيَّةِ.

وَكَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ الْعَلاَّمَةُ مُحَمَّد أَمَان الْجَامِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا وَقَعَ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ وَلَمْ تُبَيَّنْ لَهُ الْحُجَّةُ وَلَمْ يَبْلُغْهُ الْعِلْمُ أَنَّ مَا فِيهِ هُوَ الشِّرْكُ، أَنَّهُ يُعْذَرُ بِجَهْلِهِ.

شَيْخُ الْإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، رَدَّ عَلَى بَعْضِ الْعُلَمَاءِ قَوْلَهُمْ فِي بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَفِي بَعْضِ أَنْوَاعِ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ.

ثُمَّ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلاَمِ: ((**هَذَا كُفْرٌ وَأَنَا لَا أُكَفِّرُكُمْ لِجَهْلِكُمْ**)).

هَذَا كَلاَمٌ يَقُولُهُ شَيْخُ الْإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لِعُلَمَاءَ ضَلُّوا فِي بَابِ التَّوْحِيدِ، وَعِنْدَهُمْ شُبَهٌ وَجَهْلٌ فِي بَابِ التَّوْحِيدِ فَعَذَرَهُمْ بِجَهْلِهِمْ.

فَقُولُوا لِي بِرَبِّكُمْ: مَا بَالُ عَوَامِّ النَّاسِ؟

وَلِذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى خُبْثِ وَقُبْحِ وَشِدَّةِ رَدَاءَةِ مَذْهَبِ الْحَدَّادِيَّةِ أَنَّهُمْ يُكَفِّرُونَ عَوَامَّ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ حَتَّى يُكَفِّرُونَ آبَاءَهُمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَأَهَالِيَهُمْ وَلَا يَعْذِرُونَهُمْ بِالْجَهْلِ.

بَلْ حَتَّى الْعُلَمَاءُ الَّذِين يَقُولُونَ بِالْعُذْرِ بِالْجَهْلِ، فَإِنَّ الْحَدَّادِيَّةَ يُكَفِّرُونَهُمْ، مَعَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءَ يَقُولُونَ بِالْعُذْرِ بِالْجَهْلِ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، لَا بِالْهَوَى، مَعَ ذَلِكَ الْحَدَّادِيَّةُ يُكَفِّرُونَهُمْ.

فَعِنْدَهُمْ أَنَّ مَنْ وَقَعَ فِي الْكُفْرِ كَافِرٌ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ الْكَافِرَ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ عَذَرَ الْكَافِرَ فَهُوَ كَافِرٌ، انْظُرُوا إِلَى هَذَا التَّسَلْسُلِ الْقَبِيحِ، وَلِذَلِكَ الْحَدَّادِيَّةُ أَصْلُ مَنْهَجِهِمُ التَّكْفِيرُ، هُمْ تَكْفِيرِيُّونَ.

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

إِذَنْ هَذِهِ هِيَ الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ، وَبِهَا تَتِمُّ الرِّسَالَةُ، ((وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ)).

هَذِهِ الرِّسَالَةُ كَمَا سَبَقَ مِنَ الرَّسَائِلِ الْمُهِمَّةِ وَالْمُفِيدَةِ، كَمَا وَصَفَهَا الشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فِي أَوَّلِ شَرْحِهِ لِلْقَوَاعِدِ الْأَرْبَعَةِ، حَيْثُ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ((فَهَذِهِ الْقَوَاعِدُ الْأَرْبَعُ نَبَّهَ عَلَيْهَا الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ، وَهِيَ قَوَاعِدُ مُهِمَّةٌ، فَمَنْ عَقَلَهَا وَفَهِمَهَا جَيِّدًا، فَهِمَ دِينَ الْمُشْرِكِينَ وَفَهِمَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَغْلَبُ الْخَلْقِ لَا يَفْهَمُ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ وَلِهَذَا الْتَبَسَتْ عَلَيْهِمْ، فَعَبَدُوا الْقُبُورَ وَأَصْحَابَهَا وَالْأَوْلِيَاءَ وَالْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ مِنْ دُونِ اللهِ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لِجَهْلِهِمْ بِحَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ وَحَقِيقَةِ الشِّرْكِ)) اهـ.

يَعْنِي: لَمَّا صَرَفُوا هَذِهِ الْأَنْوَاعَ لِغَيْرِ اللهِ، إِنَّمَا صَرَفُوهَا بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ بِحَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ بِحَقِيقَةِ دِينِ الْمُشْرِكِينَ.

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ. وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .